الحرية عند سبينوزا

م.م مهند علي نعمة
كلية التربية/جامعة القادسية

المقدمة:

يعتبر سبينوزا فيلسوف عقلي استخدم العقل وسيلة للمعرفة ووسيلته على ضربين المعرفة الاستدلالية لكنها تتصف بالنقص لأنها تقوم على العلة وعلى ربط اسبينوزا هنا العلة بالمعلول ثم المعرفة الحدسية المباشرة وتتجه إلى الماهية فهي كاملة لأنها تعتمد على الحدس العقلي المباشر . وقد اختلفت الآراء في تقويم فلسفة سبينوزا اختلافاً وصل بالمختلفين إلى حد التناقض فقد اعتبره البعض مثلاً للملحدين لقوله بوحدة الوجود ونقد للكتب المقدسة خاصة العهد القديم ، كما ألغى الحرية الإنسانية متمثلة في إرادة الإنسان المكبلة بينما اعتبر الآخر أعظم العقول في العصر الحديثة وإذا نظرنا إلى فلسفة سبينوزا نفسها نجده يعطى منذ البداية أن هدفه من فلسفته هو الكشف عن حياة الإنسان السعيد وأراد أن يصل إلى مثل هذه الحياة السعيدة عن طريق الحب الفعلي لله هذا الحب القائم على فهم الطبيعة الإنسانية والكون والسعادة وكانت المعرفة لديه تعتمد على تحرير الفهم من أفكار الإدراكات الحسية الغامضة المضطربة . أما نظريته السياسية والاجتماعية فهي تستند إلى فلسفته العامة . فهو يرى أنه ينبغي دراسة المشكلات السياسية والاجتماعية دراسة علمية بعيداً عن الأخلاقية والدينية . فإذا أردنا أن نقوم مجتمعنا على أسس صحيحة فانه ينبغي أولاً أن نفهم الناس من حيث أنهم كائنات عضوية فلا نرسي سياستنا على مفاهيم مثالية عن الطبيعة البشرية ولا على قواعد أخلاقية لا تعبر إلا عن أذواقنا الذاتية . وانفعالاتنا السلبية فالإنسان عند سبينوزا هو حال متناه من أحوال الله أو الطبيعة. وبناء عليه ينبغي أن يكون هدف الدولة الأساسي توفير الأسباب لكي يمارس الناس التفكير الواضح والمتمايز . فجاء البحث مقسماً الى ثلاث فصول احتوى المبحث الاول على حياة الفيلسوف ومؤلفاته، اما المبحث الثاني تناول فلسفته النظرية وهي كل من المعرفة وأنواعها والجوهر والإنسان ، اما المبحث الثالث فقد تضمن الفلسفة العملية وهي كل من الدين والأخلاق ، أما المبحث الرابع أحتوى على أرائه السياسية وهي ١- حالة الطبيعة ٢- العقل الاجتماعي ٣- النظام الديمقراطي ، أما المبحث الخامس أحتوى على إرادة الإنسان بين الحرية والجبر

المبحث الأول

حياته ومؤلفاته

أولاً : حياته

ولد باروخ سبينوزا في الرابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٦٣٢ م في امستردام وقد أظهر منذ طفولته وفي صباه فيما بعد أن الطبيعة لم تكن جامدة بالنسبة إليه وقد كان المرء يعترف له بيسر أنه كان يتمتع بخيال حي وبعقل نافذ إلى حد بعيد إذ ذهب أولاً إلى المدرسة البرتغالية غير أن سبينوزا كان يرغب في تعلم اللاتينية فأخذ يعمل في تلقيها على يد (فان دن اندن) وهو هولندي سبق له أن مارس الطب ثم ما لبث أن افتتح مدرسة استقبل فيها بعض التلاميذ البرجوازيين وكان باروخ من ضمنهم فلقنه مبادئ الرياضيات والطبيعيات وأعطاه شيئاً من مبادئ الطب . [1]وعرفه أيضاً بالفلاسفة لمدرسيين (وديكارت) *وقد حملته أيضاً وعرفه أدراساته العلمية ومطالعاته إلى معاودة التفكير في كل ما تلقاه في كل فأصبحت عنايته بالطقوس الدينية أقل مما كانت عليه وحمل من الفكر ما لا يمكن

للسنية اليهودية أن ترضى به ، وقد حاول بعضهم رده إلى حضيرة الدين لكن سبينوزا رفض جميع المقترحات التي فرضت عليه ، لأنه كان يطلب حرية فكره.(٢)

يقول سبينوزا وهو صغير وخاصة عندما طرد وبقية أسرته من اسبانيا ، وكره المسيحيين لليهود والتقاليد اليهودية البالية (عندما أشب سأحاول أن أجد وسيلة أضع بها حداً لكره الناس بعضهم بعضاً).(٣)

أقام عند صديق ومكث هناك خمس سنوات يكسب رزقه بصقل زجاج النظارات وفي تلك الفترة شرع يكتب ثم أخذ ينتقل في هولندا وكان أينما يحل يلقى أصدقاء ومعجبين به معتنقين مذهبه ومنهم القائد الفرنسي كوندي عرض عليه أن يقيم بفرنسا ويتناول معاشاً فرفض وأمير ألماني عرض عليه في السنة نفسها منصباً بجامعة (هيدلبرج) فرفض كذلك مخافة أن لا تتوفر له الحرية في التعليم.(٤)

عرف سبينوزا الإنجيل على أنه مصدر الحياة المعقولة وأراد أن يبين أنه لا يجيز قط أعمال العنف والتعصب . (٥)

ثانياً : مؤلفاته

كان مرضه من جهة وكانت الفلسفة من جهة أخرى يحملانه على المعيشة البسيطة الهادئة فلقب بالقديس المدني وكانت وفاته بمدينة لاهاي سنة ١٦٧٧ . اتخذ اللاتينية لساناً يحرر به وكان أول ما كتب رسالة (في مبادئ فلسفة ديكارت(٦) ثم عرض فلسفته في الرسالة (في الله والإنسان وسعادته ، كتبها لأصدقائه المسيحيين ولم تنتشر وقد ضاع الأصل وبقي ترجمتان هولنديتان نشرتا عام ١٨٥٢ ثم كتب رسالته في (إصلاح العقل) هي بمثابة مقدمة في المنهج وفي المعرفة غير أن سبينوزا ترك الرسالة ناقصة فنشرت كما هي بعد وفاته .(٧)

ولما اشتد الجدل حول مسائل الوحي والنبوة والمعجزات وحرية الاعتقاد كتب في ذلك الرسالة (اللاهوتية السياسية) عام ١٦٦٥ ومع ذلك لم تنتشر إلا عام ١٦٧٠م (والرسالة السياسية) التي نشرت بعد وفاته ثم كتاب (الأخلاق) وهو أهم مؤلفاته على وجه الإطلاق وقد نهج سبينوزا في كتابه الأخلاق المنهج الهندسي وحسب تفكيره في صيغ المسلمات والتعريفات والقضايا .(٨)

والكتاب مقسم إلى خمس مقالات الأولى في الله والثانية في النفس طبيعتها وأصلها والثالثة في الانفعالات أصلها وطبيعتها والرابعة في عبودية الإنسان أو في قوة الانفعالات والخامسة في قوة العقل أو في حرية الإنسان ، فالأخلاق موضوع المقالتين الأخيرتين ولكن سبينوزا أطلق هذا الاسم على الكتاب كله ، لأن غاية النظر عنده العمل ولأن اتجاهه الأساسي أخلاقي كما هو الحال عند الدواقيين والطريقة القياسية مفتعلة ، يتناول الفيلسوف الظواهر المعلومة بالملاحظة الظاهرة أو الباطنة وهي كثيرة فيحولها إلى نتائج اقيسه تحويلاً صناعياً .(٩)

المبحث الثاني

الفلسفة النظرية

١- المعرفة وأنواعها :

يرى سبينوزا قبل كل شيء يجب التفكير في وسيلة شفاء العقل وتطهيره لكي يجيد معرفة الأشياء هذه الوسيلة هي المتميز بين ضروب المعرفة وتقدير قيمة كل منها لأجل الاهتداء إلى المعرفة الحقة .(١٠)

فيظهر تقسيم سبينوزا المشهور لأنواع المعرفة إلى ثلاث أنواع :

أ- النوع الأول ينقسم إلى معرفة تكونها الأشياء الخاصة بواسطة حواسنا وتتمثل لنا فيها الأشياء جزئية مختلفة لا تترتب فيها ثم معرفة تؤدي بنا الى تكوين فكرة عن الأشياء مشابهة لما نتج عنها فحسب .

ب-النوع الثاني : وهو ينشأ من وجود أفكار لدينا مشتركة بين جميع الناس وأفكار كافية عن خصائص الأشياء وهذه نسميها العقل .

ج- النوع الثالث : وهو الحدس ينتقل من فكرة كافية عن الماهية المطلقة لبعض صفات الله إلى المعرفة الكافية لماهية الأشياء .(١١)

ويعرض سبينوزا في كتابه إصلاح العقل أنواع المعرفة على نحو مختلف إلى حد ما فيقسمها إلى أربعة أقسام

١- معرفة سماعية تختار اعتباطاً .

٢- معرفة مستمدة من التجربة الغامضة التي لم يختبرها العقل والتي تقبل لمجرد عدم وجود ما يناقضها في العقل .

٣- المعرفة الناشئة من الاستدلال على ماهية شيء من ماهيته شيء آخر ولكن ليس بطريقة كافية(١٢).

٤- المعرفة الكافية للشيء عن طريق ماهيته وحدها ومع ذلك فالتقسيم الثلاثي الأول هو الأكثر شيوعاً في كتابات سبينوزا إذ أنه في معظم كتاباته يدمج النوع الأولين في التقسيم الرباعي ليكون منهما نوعاً واحداً وعلى هذا التقسيم المشهور لأنواع المعرفة عد سبينوزا فيلسوفاً ذا نزعة صوفية إذ وجد كثير من شراحه في النوع الثالث من المعرفة وهو المعرفة الحدسية مجالاً للتفسيرات الصوفية .(١٣)

٢- الجوهر : ما هو في ذاته ويدرك بذاته ونعني بذلك أن تصوره لا يتوقف على تصور شيء آخر يتكون منه بالضرورة لكن ما لا يدرك إلا بذاته لا يمكن أن تكون علته من خارجه . ومن هنا يستنتج سبينوزا أن الجوهر هو علة ذاته انه مستقل تماماً بذاته لا علة له من خارجه وهذا يتضمن بدوره أن ماهيته تستلزم وجوده يقول سبينوزا (أنا أفهم من كونه علة ذاته أن ماهيته تستلزم وجوده وأن طبيعته لا يمكن أن تتصور إلا بوجوده) ولو كان الجوهر متناهياً لكان محدوداً بجوهر آخر من نفس الطبيعة أي له نفس الصفات .(١٤)

فالجوهر لا يمكن أن يوجد بواسطة جوهر آخر .(١٥) ثم يتطرق سبينوزا في الجزء الأول من رسالته عن الله فيبرهن على وجوده ثم إلى ماهيته .(١٦)

فيقول (من ضرورة الطبيعة الإلهية ينتج بالضرورة عدد لا متناه من الأشياء بطرق لا نهائية أعني كل الأشياء التي تدخل في نطاق (العقل اللامتنهي) وجود الله لا يحده شيء سوى قانون عدم التناقض والإمكان المنطقي . فالله هو إذن علة كل الأشياء . إذن هنالك نظاماً إلهياً ، ونقصد بذلك أن الله خلق الأشياء على نحو يجعل من الميسور على الإنسان تذكرها وتصورها فكأننا نحن نريد أن نفرض على الطبيعة أهواءنا وأذواقنا ولكن التجربة والشواهد تدلنا على أن أمور العالم تجري دون أن تحسب حساب أهوائنا وأذواقنا وأغراضنا .(١٧)

٣ – الإنسان

الإنسان مركب من حال امتدادي هو جسمه ، ومن حال فكري هو نفسه والجسم آلة مؤلفة من آلات ، والنفس فكرة الجسم أي فكرة موضوعها الجسم الموجود بالفعل فهي تبدأ وتنتهي مع الجسم وعلتها خارجة عنها تلتمس في أحوال أخرى من الفكر مقابلة للأحوال الامتداد التي هي علة الجسم والإحساس ظاهرة جسيمة أما الإدراك فظاهرة فكرية تقوم في تصوير النفس للإحساس وقت انفعال الجسم به .(١٨)

والإنسان ليس جوهراً لأنه ليس علة ذاته وجانبا الإنسان هما الفكر والجسم وإذا قورن العقل الإنساني بالعقل الإلهي غير شخصي لأنه غير مرتبط بجسم وغير محاط بأجسام أخرى يكون فهو لا يحس بأي انفعالات او منافع أو أضرار أو حب أو كراهية كما هو شأن العقل الإنساني وهذا منطقي

لأنه وهو الكل ، أنىّ له أن يؤثر جزءاً دون جزء أو يتأثر بجزء من أجزائه ولهذا فأن عقل الله حر من كل شهوة أو انفعال .(١٩)

المبحث الثالث

الفلسفة العملية

أولاً : الدين والحرية الدينية :

أما الدين الوضعي فقد مست الحاجة إليه لقصور جمهرة الناس عن مطالعة أوامر الله في نفوسهم . وان الكتب المقدسة تذكر أن الله أنزل وحيه على الأنبياء بألفاظ وصور محسوسة أو متخيلة ، ما خلا المسيح (عليه السلام) ، فأنه عرف الله دون ألفاظ ولا رؤى واتصل بالله نفساً لنفس كما اتصل موسى (عليه السلام) بالله وجهاً لوجه . فالأنبياء لم يمنحوا عقلاً أكمل من عامة العقول وإنما منحوا مخيلة أقوى فقد كان منهم الأميون وكان منهم الحكماء مثل سليمان ، من لم يوهبوا النبوة واختلف الوحي عند كل نبي باختلاف مزاجه البدني ومخيلته وآرائه السابقة ، فان الله لاءم بين وحيه وبين إفهام الأنبياء وآرائهم ولما كان التخيل لا ينطوي بطبيعته على اليقين كما ينطوي عليه المعنى الجلي (٢٠) .

لم يكن الأنبياء على يقين من وحي الله بالوحي نفسه بل بعلامة ما ، ولما كان الله رحيماً بالكل كانت مهمة النبي تعليم الفضيلة الحقة لا الشرائع الخاصة بكل بلد فما من شك في أن جميع الأمم حصلت على أنبياء . وإذا كانت التوراة لا تذكر شيئاً من هذا القبيل فلأنها تؤرخ لليهود فحسب ، ذلك بأن جوهر الشريعة الإلهية الطبيعية معرفة الله ومحبته ، ولا يقتضي الإيمان بقصص تاريخية أياً كان موضوعها ، ويجب أن يستمد العلم بالله من معان كلية بقدسية . كذلك تقتضي الشريعة الإلهية الطبيعية شيئاً من الطقوس إذ ليست الطقوس في ذاتها خيراً ولا شراً وليست تزيد عقلنا كمالاً .(٢١)

ومن المؤكد أن تجربة سبينوزا الخاصة مع ممثلي السلطة الدينية أفقدته الثقة بحكمهم وجعلته واثقاً من أنهم يراعون مصالحهم الخاصة لا المبادئ والمثل العليا في أحكامهم وهكذا حرص على إخضاعهم للسلطة الدينية تأميناً لنفسه ولغيرهِ. ومن جهة أخرى فمثل هذا الخضوع للسلطة المدنية كفيل بعدم تغليب دين على دين وضمان الحرية لجميع الأديان ، بحيث لا يصبح لأحدها سلطة قاهرة قد يستغلها ضد أصحاب العقائد الأخرى .(٢٢)

إن سبينوزا لم يكن يحفل كثيراً بالمظاهر الخارجية للعقائد الدينية وكانت كلها تتساوي عنده طالما أنها تؤدي غرضها العقلي على النحو الصحيح ومن هنا كان إخضاعها للسلطة السياسية معناه قبول مختلف الآراء والمعتقدات على قدم المساواة في ظل قانون مدني متسامح من كل أشكال العبادات . إن فكرة فصل الدين عن الدولة لم تكن عنده من ذلك النوع الذي يترك فيه لكل السلطة الدينية والحاكم الزمني مجاله الخاص الذي يكون له فيه سلطان كامل .(٢٣)

لقد كان سبينوزا يكره الحروب الدينية والخلافات المذهبية ويأبى على الدولة أن تتخذ أي موقف في الأمور الدينية لصالح دين أو طائفة أو مذهب معين ، ولا يحق لأي فرد أن يتنازل للدولة أو السلطة عن حقه في اعتقاد ما يشاء . إن حق الاعتقاد حق لا يجوز مطلقاً التنازل عنه لأية سلطة كائنة ما كانت أو لأي فرد مهما يكن . ولهذا دعا سبينوزا إلى توفير الحرية المطلقة للفرد في اعتقاداته وآرائه في جميع الأمور . وليس لأية سلطة دينية أو سياسية أي سلطان على الفرد في هذا المجال . ولتحقيق هذا الغرض أن تتحرر الدولة من كل تأثير للسلطة الدينية .(٢٤)

وألا تسمح لها بأي تدخل في أمورها . وفي هذا السبيل ينقد سبينوزا الدعوى القائلة بأن (الكتاب المقدس) من وحي الله ، ويتحدى صحة ودقة أسفار (العهد القديم) من (الكتاب المقدس) وصحة نسبها إلى من تنسب إليه وبرفض دعوى اليهود أنهم شعب الله المختار . ويقرر إن المعجزات التي يستند إليها اللاهوتيين في صحة الديانات تتناقض مع النظام الإلهي وبالتالي هي متناقضة لنفسها

والعقيدة المسيحية في الفداء لا يمكن للعقل أن يقبلها لأن يسوع كان إنساناً كسائر الناس وإن عقله كان يساير نظام الكون وكانت آرائه متجه نحو الخير الأزلي .[٢٥]

ثانياً: الأخلاق :

إن أهم طابع يطبع الفلسفة الأخلاقية عند سبينوزا هو القول بأن الإنسان لا يقف بمعزل عن الطبيعة وقوانينها وعليه هو ينقد بشدة أولئك الذين تصوروا الإنسان على أنه يقف من الطبيعة وكأنه دولة داخل دولة ويظنون أن له سلطاناً مطلقاً على أفعاله وأن شيئاً لا يتحكم فيه سوى ذاته .[٢٦]

إن مذهب سبينوزا في الأخلاق ذو مشابه عديدة مع مذهب الرواقية في الأخلاق فمثله الأعلى للحكيم وتوكيده ضرورة أن يعرف الإنسان مكانته في الكون واعتقاده أن المعرفة تحمي الإنسان من اضطراب النفس تجاه مصائب الحياة وضربات القدر والحاجة على جعل الحياة تسير بمقتضى العقل وطلب الفضائل من أجل الفضائل نفسها . كل هذه الملامح تجدها في المذهب الأخلاقي الرواقي كذلك يشتركان في تقرير الجبرية وإنكار الحرية الإنسانية .[٢٧]

فالطبيعة عند سبينوزا خالية تماماً من القيم البشرية حيث يقول : (إنني لا أعزو إلى الطبيعة جمالاً ولا نظاماً ولا اضطراباً فليس في وسع المرء أن يقول عن الأشياء أنها جميلة أو قبيحة منظمة أو مضطربة إلا من وجهة نظر الخيال) والخير والشر لا وجود لهما إلا في ذهننا لا في الطبيعة وليست لها أية دلالة ميتافيزيقية وإنما هما يتقمصان بوجهة نظر البشر فحسب وبعبارة أخرى فالخير والشر لا يدلان على صفة ايجابية في الأشياء منظوراً إليها في ذاتها وإنما هما أحوال للفكر أو موضوعات فكرية تكونها من مقارنة الأشياء بعضها ببعض . وهكذا يمكن أن يكون الشيء الواحد في نفس الآن خيراً وشراً وسوياً إزاء هذا وذاك .[٢٨]

يمهد سبينوزا لتعريف اللذة والألم بالقضية التالية (إن كل ما يزيد أو ينقص القدرة الفكرية في ذهننا) وفي ملحوظة هذه القضية يقول (إن الذهن يمر على هذا النحو بحالات من الكمال الزائد أو الناقص ومن هذا نستخلص طبيعة اللذة والألم) . فالمقصود باللذة هو حالة سلبية ينتقل فيها الذهن إلى كمال أعظم . والمقصود بالألم هو حالة سلبية ينتقل فيها الذهن إلى كمال أقل وكون الألم واللذة انتقالاً هو الدليل على إنهما انفعالية مرتبطة بافتقار الإنسان إلى الكمال .[٢٩]

المبحث الرابع

أرائه السياسية

أولاً : حالة الطبيعة :

إن العصر الذي شهد هوبز * يمجد الملكية المطلقة ويستنكر مستقبحاً ثورة الشعب الانكليزي على ملكه . كان سبينوزا قد صاغ فلسفة سياسية عبرت عن آمال عصره في الديمقراطية .[٣٠]

يذهب سبينوزا إلى أن الناس كانوا قبل نشأة المجتمع يعيشون فوضى لا ينظمهم قانون ولا يسودهم نظام وكانت القوة عندهم هي الحق فمن استطاع أن يظفر بشيء فهو حق له وإذن فلم تكن لديهم فكرة الصواب والخطأ أو العدل والظلم ولا يمكن لشيء في حالة الطبيعة أن يسمى خيراً أو شراً لأن كل إنسان في تلك الحالة لا ينظر إلا إلى مصلحته ولا يكون مسؤولاً أمام أحد غير نفسه ولا يحده قانون وإذن فيستحيل أن تنشأ فكرة الخطيئة في حالة الطبيعة لأنها فكرة لا تكون إلا في الحياة المدنية .[٣١]

ويعرف سبينوزا الحق الطبيعي نفس قوانين الطبيعة أو قواعدها التي يحدث كل شيء وفقاً لها أي بعبارة أخرى قوة الطبيعة ذاتها وعلى ذلك فكل ما يفعله الإنسان وفقاً لقوانين طبيعته يفعله بحق طبيعي كامل ويكون له من الحق على الطبيعة بقدر ما له من القوة وهذا الحق الطبيعي واحد لدى جميع الأفراد ، لا يختلف فيه شخص عن آخر ففي هذا الميدان تتحكم الرغبة والقدرة لا العقل والطبيعة

تتسع لكل شيء لا للإنسان وحده ولكن إذا كان المبدأ ذاته واحداً أي إذا كان الأفراد جميعاً يسري عليهم المبدأ القائل إن حق كل فرد يمتد بقدر ما تمتد قوته فلا شك في أن نصيب كل فرد من هذا الحق يتفاوت تبعاً لما لديه بالفعل من القوة[٣٢].

ولكن تتمشى أمورهم الحياتية على أحسن وجه وأسهل صورة من التفاوت والتكامل والتضامن وبما أن في الإنسان شهوة وعقلاً وليس الناس معنيين جميعاً من قبل الطبيعة ألا يسيروا طبقاً لقوانين العقل فهم يولدون جهلاء دون أن ترسم على صفحات عقولهم أية مبادئ ويقضون الشطر الأكبر من الحياة قبل أن يدركوا الفضيلة ويكتسبوها فكل منهم مطلق الحق في إتباع الشهوة واصطناع القوة وإتباع العقل وليس من إنسان ألا يريد أن يعيش آمناً من الخوف وهذا مستحيل ما دام لكل أن يعمل ما يرونه وإذا لم يتعاون الناس كانت حياتهم بائسة لهذه الأسباب تاقو للاتحاد لأنها الوسيلة الوحيدة لبقائهم وضمان وجودهم امنين .[٣٣]

اختلف سبينوزا عن هوبز حيث ألح الأخير بقوله (لقد كانت العلاقات في حال الطبيعة بين إنسان ولكل إنسان آخر قائمة على أساس المنافسة أو الريبة أو حب المجد .[٣٤]

فيلطف سبينوزا من هذه الصورة الوحشية بالإيحاء بأن الإنسان حتى في أول ظهوره على الأرض ربما كان يعيش بالفعل في جماعات اجتماعية لأن أي إنسان في الانفرادية لا يملك من القوة ما يدافع به عن نفسه ويحصل على ضرورات حياته فأن هذا يتبع أن ينزع الناس بالطبيعة أي تنظيم اجتماعي .[٣٥]

ثانياً : العقد الاجتماعي

تعددت آراء الكتاب حول العقد كل منهم يفسره على الوجه الذي يلاءم نظريته في السياسة . بعضهم عده حقيقة تاريخية ثابتة تشرح نشأة المجتمع بينما اعتبره آخرون عقداً حكومياً نشأ بين الحاكمين والمحكومين . وهناك من الكتاب من اعتبره أساساً صالحاً لما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الحاكمين والمحكومين والفكرة الأساسية للعقد باعتباره أصل نشأة الدولة[٣٦]

رسالة هي تنازل الأفراد عن بعض حقوقهم لهيئة حاكمة في المجتمع الذي ينظمه القانون المدني ذلك لان الفرد رغبة منه في حماية نفسه وتحقيق ما فيه صالحه بطريقة أفضل ، يقبل التنازل عن شريعة الطبيعة والخضوع لقانون العقل والاتفاق مع غيره على العيش في وئام وهكذا يحدث التنازل عن موضوعات بعض الرغبات استهدافاً لخير أعظم ويتم هذا التنازل للهيئة الحاكمة التي ينبغي على الأفراد طاعتها وإلا لما أمكن قيام دولة ويظل حق الحاكم قائماً طالما لديه القدرة على تنفيذه وبعبارة أخرى فان نفس قاعدة الحق الخاضع للقوة تسري على الدولة بدورها ، بحيث تحد سلطة الدولة بما لديها من القوة[٣٧]

التي تحد من ذاتها ولا تمارس قواها أكثر مما ينبغي حتى لا تقابل بالمقاومة وحين تعترف الدولة بحكم العقل تترك للأفراد قدراً غير قليل من الحقوق التي يمارسونها بحرية ولاسيما حقهم في التفكير الحر والتعبير عن آرائهم كما يشاءون وهو الحق الذي أكد سبينوزا انه أساس كل نظام سليم للحكم[٣٨].

لقد رضى الإنسان حينما قبل أن يكون عضواً في المجتمع أن يتنازل عن بعض قوته فلكل فرد أن يستعمل قوته في اكتساب مصالحه على شرط أن لا يتعدى على حرية الآخرين التي يجب أن تكون مساوية لحريته ، وبذلك يكون الفرد قد أعطى للجماعة جزءاً من قوته الطبيعية في مقابل أن تمكنه الجماعة من استغلال ما بقي له من القوة إلى أقصى حد مستطاع دون أن يخشى على نفسه خطراً واعتداء . ولكي يستطيع المجتمع أن يصون للأفراد ما تعهد لهم به من طمأنينة وامن أوجد قانوناً يحدد تصرفات الناس ومعاملاتهم[٣٩].

وقد اضطر المجتمع إلى وضع هذا القانون لأنه يعلم إن الناس مدفوعون في حياتهم بعواطفهم والعواطف وحدها عمياء لا ندري أين تسوق صاحبها بحيث ينتفع ولا يضر الآخرين فلو كان الناس

جميعاً موقنين بالعقل لما كان المجتمع بحاجة إلى القانون ، فالقانون في الواقع بالنسبة إلى الأفراد بمثابة العقل من العواطف(٤٠).

ويرى سبينوزا إن للمرء الحق في مخالفة الحاكم في تفكيره كما يشاء على أن لا يفعل ما من شأنه تعكير الأمن أو إشاعة الفوضى في مجال التفكير وفي مجال القول طالما كان صادراً عن العقل لا عن الانفعال وينبغي أن تسود الحرية التامة على أن لا يتنافى مع القانون ، أما كبت حرية الفكر فلن يؤدي إلا إلى الرياء والنفاق . يقول سبينوزا (إن الحرية قد سحقت وان الناس أذلوا حتى لم يعودوا يجرؤون على الهمس إلا بأمر حاكمهم رغم ذلك كله فمن المحال المضي في هذا إلى حد جعل تفكيرهم مطابقاً لتفكير السلطة السائدة ، فتكون النتيجة ضرورية لذلك هي أن يفكر الناس كل يوم في شيء ويقولون شيء أخر فتفسد بذلك ضمائرهم ويكون في ذلك تشجيع لهم على النفاق والغش)(٤١).

ثالثاً : النظام الديمقراطي :

كان سبينوزا يكتب رسالته السياسية التي يدافع بها عن الديمقراطية في نفس العصر الذي كان فيه (توماس هربز) يمجد الملكية المطلقة في انكلبزا ويقاوم ثورة الشعب على ملكية وقد جاءت فلسفة سبينوزا السياسية من القوة بحيث أصبحت ينبوعاً دافقاً مليكه ظلت يستغني منه الحركة الديمقراطية حتى بلغت أوجها على يد روسو) ورجال الثورة الفرنسية . الحرية هي غرض الدولة الأسمى لأنها يجب أن تعمل على الرقي والنمو والكمال والرقي(٤٢)

إنما يعتمد على مقدرة الأفراد وكفايتهم بشرط أن تجد مجال العمل أمامها حراً طليقاً . فكلما قلت رقابة الدولة على العقل ازداد المواطنون والدولة صلاحاً من أفدح الأخطار تهدد كيان المجتمع أن يمتد سلطان الحكومة من أجسام الناس وأعمالهم إلى نفوسهم وأفكارهم إذا اظفر الإنسان بهذه الحرية فلا يعنيه أي نوع من أنواع الحكومات يسود فلتكن ديمقراطية أو ارستقراطية أو أي لون أخر مادام كل فرد يتربى ويرضى على تفضيل حق الجماعة على منفعته الخاصة ، ولكن سبينوزا مع ذلك يميل إلى الديمقراطية يمقت الملكية المستبدة (٤٣).

وأكد إن النظام الديمقراطي هو الذي يكفل للفرد أعظم قدر من الحرية ويكفل للقوانين الاقتراب من العقل السليم ففي الديمقراطية لا يخشى من سيطرة الأوامر اللامعقولة إذ انه كلما ازداد عدد المشتركين في الحكم قل احتمال ظهور الرغبات اللامعقولة وأمكن ضبط الانفعالات الهوجاء بسهولة وهو يؤكد إن إطاعة الفرد لمثل هذه الدولة تزيد من حريته ولا تنقصها على الإطلاق ففي الدولة أو المملكة التي تكون فيها إرادة الشعب لا إرادة الحاكم هو القانون الأعلى لا يصبح المرء عبداً إذا ما أطاع السلطة العليا وإنما يصبح مواطناً وعلى ذلك فأكثر الدول تحرراً هي تلك التي تبني قوانينها على العقل السليم بحيث يستطيع كل فرد فيها إذا شاء أن يكون حراً(٤٤) .

ويؤكد سبينوزا في مواضع عديدة رفضه للنظام الملكي ولكنه على ما يبدو كان يدرك إن هذا النظام لا مفر منه في كثير من البلدان في ذلك العصر فحاول أن يخفف من أضراره بقدر الإمكان حيث دعا فيه إلى وجود مجلس كبير إلى جانب الملك في الدول التي ينبغي أن تأخذ بالنظام الملكي وحاول أن يجرح الملكية بنظام شبه ديمقراطي يضمن الاستماع إلى صوت العقل بقدر الإمكان ورغم ذلك تظل الديمقراطية – أي حكم الشعب عن طريق ممثليه مفضلة عنده دائماً(٤٥).

المبحث الخامس

إرادة الإنسان بين الحرية والجبر

أولاً : الحرية

كان سبينوزا يؤمن بان الجنس البشري مكون وحده من حياة عضوية فأنت إن آذيت شخصاً أخر تؤذي نفسك ولم يكن ما دفع سبينوزا لكي يهب ميراثه لشقيقته مجرد تفاخر أو تظاهر بالبطولة . فانه بعد إن كفلت له العدالة حقه في الميراث اتخذ جانب الرحمة فوق العدل حيث يقول (من أراد أن

يبادل الإساءة بالإساءة عاش دوماً في تعاسة) لأنه سيعيش كما يعش العالم اليوم في جو دائم من الشك والثار والحروب ولم يكن يعرف غير نوع واحد من العدوان عدوان عام من اجل السلام وكان يؤكد إن أعظم الانتصارات هي التي تنالها بنبل الأرواح لا بقوة السلاح [٤٦] .

فالإنسان الحر سيد نفسه وليس خادم احد والتحرر من الجهل والتعصب والحقد والحكمة تؤدي إلى الأناة إلى مزيد من الحكمة وهكذا تجد الإنسان المتحرر حقاً لا يحب لنفسه إلا ما يحب لبقية الجنس البشري[٤٧].

إن عالمنا المضطرب يحتاج إلى أشياء مختلفة إذا كان له أن ينجو من الأخطار ، واحد هذه الأشياء الأكثر ضرورة هو أن يكون المتمسك بأفكار المذهب الحر تمسكاً في البلاد التي تلتزم بهذه الأفكار لا أن تكون مدافعة عن الأفكار القطعية يمينية كانت أو يسارية ، ولكنها مقتنعة كل الاقتناع بخيمة الحرية والاحتمال وضبط النفس المتبادل فبغير هذه الأفكار سيكون من الصعب إمكانية استمرار الحياة[٤٨].

الدولة الكاملة هي تلك الدولة التي تحد من قوى المواطنين فقط من حيث تكون تلك القوى مدمرة بصورة متبادلة ، وهي لن تحرم أية حرية إلا لتضيف حرية أوسع من تلك وبهذا يقول سبينوز لا تمثل الغاية النهاية للدولة في السيطرة على الناس ولا في كبح جماحهم بالخوف بل بالأحرى تحرير كل إنسان من الخوف كي يعيش ويعمل بكل آمن واطمئنان ، وبدون أن يؤذي نفسه أو جاره)[٤٩]

ويرى سبينوزا إن أي مواطن يجب أن يعتمد على الدولة وليس على نفسه وعليه أن ينفذ أوامرها ، وليس له الحق في أن يقدر ما هو ملائم أو غير ملائم وما هو عادل وغير عادل على العكس من ذلك عليه باعتباره عضواً في جسد الدولة أن يقبل توجيه عقل الدولة ولا يعني هذا انه ليس ذات عقل إذ إن عقل وإرادة الدولة ما هو إلا عقل وإرادة الجميع وما تقرره الدولة من عدل وخير يجب أن يكون كذلك بالنسبة إلى كل فرد منها[٥٠] .

إن الإنسان الذي تكون أفكاره واضحة هو الذي يقال عنه انه حر وفعال بمعنى أن تكون فيه أسباب أفعاله داخل طبيعته الخاصة بقدر ما تسمح بذلك طبيعته المتناهية ذلك إن أسباب الفعل لأي كائن متناه محال أن تكون كلها موجودة في طبيعته الخاصة مجسمة جزء من نظام مكون من أجسام متفاعلة والإنسان الحر تكون لديه فكرة تامة عن حالته الخاصة إذ يتصورها في ممثل هذه الحصيلة من مجموع الأثر وعلى الرغم من أنها قد تكون حالة مؤلمة ، فان الانفعال الملائم يكون هو انفعال الفرح لان الألم يبدو له واقعا موقعه الصحيح[٥١]

وإذا كان الألم قد نتج عن فعل كائن بشري أخر فان الإنسان الحر سوف لا يلومه ولا كرهه ، فالحب هو فرح مصحوباً بفكرة عن موضوعاً ما والكراهية هي الحزن مصحوباً بفكرة عن موضوعاً ما . والإنسان الحر الذي ينظر إلى جميع الناس على أنهم أجزاء من النظام الجبري لا يشعر إلا بالنشوة إزاء معرفته حتى ليستحيل عليه كراهية احد الناس[٥٢].

إن غاية الدولة الأخيرة ليست قائمة في السيطرة فالدولة لم تقم لترهب الإنسان وتجعله خاضعاً للإنسان أخر بل قامت خلافاً لذلك لتجريد الفرد من الخوف ولتجعله يحيا في اطمئنان قدر المستطاع أي أن يحافظ بقدر الإمكان على حقه الطبيعي في الوجود والعمل من دون أن يحدث أضراراً بالآخرين[٥٣].

ولكي يتطبعوا هم أنفسهم أن يلجأوا إلى عقولهم الحرة فلا يقابل بعضهم بعضاً عن حقد أو غضب أو حيلة بل يشد بعضهم أزر بعض من دون إساءة من اجل ذلك كانت الحرية(١) .

يقول ستيورات هامشير (اعتقد إن سبينوزا وضع الإطار الذي يمكن الدفاع عنه في حرية الفرد باعتباره القيمة اللامحدودة في السياسة)[٥٤].

ثانياً : الجبر والاختبار :

يؤكد سبينوزا إن الاعتقاد بحرية الإرادة وهم باطل واثر من آثار الجهل بالأسباب الحقيقية وإننا لن نستطيع فهم الإنسان على حقيقته وبالتالي فهم طبيعة سلوكه طالما إننا نفترض إننا نعترض مقدماً مثل هذه الفكرة الباطلة . ويوضح سبينوزا طريقته في فهم الحرية فيقول (يكون الشيء في رأي حراً عندما يوجد ويفعل حسب ضرورة طبيعته وحدها ويكون مرغماً عندما يتحكم بشيء أخر في وجوده وفعله تبعاً لقاعدة محددة) ويشرح سبينوزا اعتقاد الإنسان بحرية إرادته عن طريق التشبيه الآتي إن الحجر لا يتحرك إلا إذا دفعته علة خارجيه فلنتصور إن هذا الحجر يعتقد أثناء حركته إن جهده هو الذي يجعله يتحرك إذ ليس لديه وعي إلا يجهده هو على حين انه يجهل الأسباب الخارجية التي تحكمت في حركته وهكذا يتصور نفسه حراً وتلك هي حال الحرية البشرية(٥٥).

إن الإنسان لا ينفرد ولا ينفصل عن الجبرية المماثلة في الكون فهو يخضع بدوره لنظام العالم إذ إن حياة الإنسان ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة الإلهية فمن غير المعقول إذن التحدث عن حرية فردية لان الضامن للحرية هو مبدأ الاستغلال ولما كانت حياة الإنسان غير مستقلة انتفت عنه صفة الحرية وما الإنسان إلا آلة مفكرة ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تدعى النفس بان لها سلطاناً وسيطرة تتحكم بمقتضاها في حركات الجسم ولا أن تسبب لنفسها القدرة على تنظيم قراراته وتحديد مسار نشاطه بإرادة حد فنحن جزء من طبيعة كلية هي الطبيعة الإلهية(٥٦).

إذن لا يمكن النظر إلى الإنسان باعتباره دولة داخل دولة إذ انه لا يتمتع بالحرية فكل شيء ضروري بل الوجود بأسره يخضع للضرورة ، وان أي أسباب أفعاله وتكوين شخصيته إنما ترجع إليه هو بالذات وليس إلى أي عوامل خارجية عنه مستمدة من العالم الموضوعي المحيط به وهو يعني انه لا صلة بين الإنسان وبين الحتمية في الطبيعة فهما لا يلغيان أبداً وهنا إذن نجد إن الجبرية أو الحتمية عند سبينوزا هي حتمية الجوهر في طبيعته الباطنة أما الحتمية عند المادتين فهي تأتي من علل خارجية مادي أخرى فمن هذا المنطلق نجد إن شعور الإنسان بحريته الكاملة إنما هو واقع الأمر يعبر عن حرية ناقصة لأنها مستمدة من حرية الله الكاملة أو إرادته المطلقة التي هي الغاية في نهاية المطاف(٥٧).

الخلاصة

١- سبينوزا هو من أنبل الفلاسفة ولقد تخطاه بعضهم في الجانب العقلي ولكنه أعلاهم في الجانب الأخلاقي ونتيجة طبيعته اعتبر أثناء حياته والى قرن من الزمان بعد مماته شراً مروعاً.

٢- رسالته هي ثورة على الأوضاع الثقافية والسياسية وتطبيق لإحكام العقل في مجال الدين والسياسة في عصره وفي كل عصر

٣- امن بالحرية في كافة مظاهرها وكان مفكراً حراً دافع عن حرية الرأي وحرية الأديان ونقد كل حكومة لا تسير على هذا المسار.

٤- وجه أنظار الناس إلى اتجاه الأديان ومراكز الضعف في بعض التفاسير للتوراة وكذلك الإنجيل وما فيه من تناقضات .

٥- شدد على اثر التعصب الديني والتطرف ، ونحن اليوم شهدنا أنواع من التعصب الديني والتطرف وتكفير أحدنا الأخر وقتل الأبرياء من عامة المسلمين بأسم دين معين أوطائفة أو مذهب وهذا لا يجوز لأن الأديان كلها من الله تبارك وتعالى ، فأفكارة جاءت مناهضة لكل أنواع الحروب الدينية والتعصب.

٦- إن سبينوزا لم يكن من الممكن أن يساند فكرة قيام الدولة الصهيونية على ارض فلسطين بل كان حليفاً أن يناضل ضد فكرة قيام أية دولة على أساس ديني ولو كان قد عايش فترة ظهور الفكرة الصهيونية وقيام إسرائيل حالياً لوقف بكل قوة في صف الرافضين لها .

٧- أما من الجانب الأخلاقي فالطبيعة عند سبينوزا خالية من القيم البشرية وإن الخير والشر لا وجود لهما إلا في ذهننا وليست له دلاله ميتافيزيقية .

٨- يرى سبينوزا إن الناس كانوا في (حالة الطبيعة) قبل نشأة المجتمع يعيشون في فوضى لا ينظمهم قانون ولا يسودهم نظام ، إلا بعد أن تعاقدوا والتعاقد هو تنازل الأفراد عن بعض حقوقهم لهيئة حاكمة في المجتمع الذي ينظمه القانون المدني استهدافاً لخير أعظم ويتم هذا التنازل للهيئة الحاكمة التي ينبغي على الأفراد طاعتها والا لما أمكن قيام الدولة .

٩- لكي يرقى التنظيم السياسي يجب ان يتوافر له التفكير الصحيح الحر أما الديكتاتورية فهي ألد أعداء الحرية الفكرية والسياسية .وإن النظام الديمقراطي هو الذي يكفل للفرد أكبر قدر ممكن الحرية .

١٠- إن الإنسان الحر سيد نفسه وليس خادم أحد والتحرر من الجهل والتعصب والحقد والحكمة تؤدي إلى الأناة وهكذا تجد الإنسان المتحرر حقاً لا يحب لنفسه إلا ما يحب لبقية الجنس البشري .

١١- إن من أهم واجبات الدولة هي حماية الأفراد وحرياتهم الفكرية والدينية وهي المعيار لصلاحية الحكومة والنظام الإجتماعي وكل سلطة تعنى بحماية المواطنين وممتلكاتهم سلطة شرعية وعلى الأفراد أن يدينوا لها بالولاء لأنها توفر لهم الظروف لممارسة الحرية وتحقيق السعادة .

١٢- أنكر سبينوزا الحرية الإنسانية انكاراً تاماً وقال عنها بأنها وهم باطل وأثر من أثار الجهل بالأسباب الحقيقية وإن الإنسان لا ينفرد ولا ينفصل عن الجبرية المماثلة في الكون فحياة الإنسان ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالله عز وجل .

المصادر

١- احمد أمين،زكي نجيب محمود:قصة الفلسفة الحديثة،ج١،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،١٩٦٧ م .
٢- عبد المعطي د. علي : الفكر السياسي الغربي ، دار الجامعات المصرية، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
٣- عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ، ج١ ، ط٢ ، مطبعة ذوي القربى، ١٤٢٩ م .
٤- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ط٤ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٦م.
٥- ديورانت ، ول : قصة الفلسفة ، ترجمة احمد الشيباني ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، بلا ،
٦- ديورانت ، ول : قصة الحضارة ، ج٤ ، ترجمة محمد علي أبو درة ، دار الجيل ، ١٩٨٨ م .
٧- زكريا إبراهيم : سبينوزا : ط٢ ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت، ١٩٩٣ م .
٨- فؤاد كامل : الموسوعة الفلسفية المختصرة ، دار القلم بيروت ، بلا تاريخ .
٩- رسل ، برنراند : الفلسفة والسياسة ، ترجمة عبد الرحمن القيسي ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٢ م .
١٠- هنري توماس : إعلام الفلسفة كيف نفهمهم ، ترجمة : متري أمين ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩م
١١- عبد المعطي ، د. علي : تيارات فلسفية حديثة ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤ م .
١٢- كامل محمد محمد عويضة : باروخ سبينوزا ، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٣ م .
١٣- بيار-فرنسوا موروت:سبينوزا والأسبينوزية،ط١،ترجمة جورج كتوره ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ٢٠٠٩ م .
١٤- اندريه كريسون : سبينوزا ، ط١ ، دار الأنوار ، بيروت ، ١٩٦٦ م .
١٥- مهند علي:الفلسفة السياسية عند جون لو ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الكوفة كلية الآداب ، ٢٠٠٥ م.

١٦- زيد عباس كرم : سبينوزا والفلسفة الأخلاقية ، دار التنوير للنشر ، بلا تاريخ.

المصادر الأجنبية :

1- Stuart Hampshire , Spinoza and idea of Freedom , university of California press , 1972 , P331.
2- Spinoza : The Ethics , Translated from the Latin . by R.H.M. Elwes.1883.p.10.

الهوامش

(١).أندريه كريسون : سبينوزا ، ط١ ، دار الأنوار ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ص ٩ – ١٠ .
*فيلسوف فرنسي ولد في مدينة لاهاي عام ١٥٩٦ وقد ألف كتباً كثيرة عبرت بصدق عن روح فكرية عالية ميزت من بين عدد من الفلاسفة العقليين من أهم كتبه مقال في المنهج ، التأملات في الفلسفة الأولى توفي عام ١٦٥٠ .
(٢).أندريه كريسون : سبينوزا ، ط١ ، دار الأنوار ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ص ١١ – ١٢ .
(٣).هنري ، توماس : أعلام الفلسفة كيف نفهمهم ، ترجمة متري أمين ، دار النهضة العربية، ١٩٦٩ م ، ص ٢٢٣ .
(٤).كرم ، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة ، ط٤ ،دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٦ م،ص ١٠٦.
(٥).فؤاد كامل وآخرون : الموسوعة الفلسفية المختصرة ، دار القلم ، بيروت ، بلا تاريخ ، ص ١٨٠ – ١٨١ .
(٦).كرم ، يوسف : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص ١٠٦ .
(٧).كامل محمد عويضة : باروخ سبينوزا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣ م ، ص ٤٨
(٨).على عبد المعطي : تيارات فلسفية حديثة ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤ م ، ص ١٤٦.
(٩).كرم ، يوسف : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص ١٠٧ – ١٠٨.
(١٠).كرم ، يوسف : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص ١٠٨ .
(١١).زكريا ، إبراهيم : سبينوزا ، ط٢ ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٣ م ، ص ٧٠-٧١ .
(١٢).زكريا ، ابراهيم : سبينوزا ، ص٧١ .
(١٣). المصدر نفسه ، ص ٧١ – ٧٢ .
(١٤). عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ، ط١ ، مطبعة ذوي القربى ، ١٤٢٩ هـ ، ص ١٣٩ .
(15). Spinoza : The Ethics , Translated from the Latin . by R.H.M. Elwes.1883.p.10.
(١٦). بيار – فرنسوا مورو:سبينوزا والاسبينوزية ،ط١، دار الكتاب الجديد ، ٢٠٠٨، ص ٦٩ .
(١٧). المصدر نفسه ، ص ١٤٠ .
(١٨).كرم ، يوسف : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص ١١٣ .
(١٩). عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ، ص ١٤١ .
(٢٠).كرم ، يوسف : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص ١١٦ – ١١٧ .
(٢١). المصدر نفسه ، ص ١١٧ .
(٢٢).زكريا إبراهيم : سبينوزا ، ص ٢٢٣ .
(٢٣). المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.
(٢٤). عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ، ص ١٤٤ .
(٢٥). المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(٢٦). د.زيد عباس كريم:سبينوزا والفلسفة الأخلاقية،دار التنوير للطباعة والنشر،بلا تاريخ، ص٢٠٥ – ٢٠٦ .
(٢٧). د. عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ، ص ١٤٣ .
(٢٨).زكريا إبراهيم : سبينوزا ، ص ١٩٧ – ١٩٨ .
(٢٩).زكريا إبراهيم : سبينوزا ، ص ٢٠٧ .
*توماس هوبز : فيلسوف انكليزي عاش (سنة ١٥٨٨-١٦٧٩) ومن أشهر كتبه السياسية كتاب الدولة وكتاب التنين .
(٣٠).ديورانت ، ول : قصة الفلسفة ، ترجمة أحمد الشباني ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، بلا تاريخ ، ص ٣٣٨ .
(٣١). أحمد أمين:قصة الفلسفة الحديثة ،ج١ ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ م، ص ١٧٠ .
(٣٢).زكريا ، ابراهيم : سبينوزا ، ص٢٢٧ .

(٣٣). كرم ، يوسف : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص ١١٨ .
(٣٤). عبد المعطي،د.علي:الفكر السياسي الغربي، دار الجامعات المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ م ، ص ٢٢٨ – ٢٢٩ .
(٣٥). ديورات ، ول : قصة الحضارة ، ج٤ ، ترجمة محمد علي أبو درة ، دار الجيل ، ١٩٨٨م، ص١٤٨ .
(٣٦). مهند علي:الفلسفة السياسة عند جون لوك،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة الكوفة،كلية الآداب،٢٠٠٥م، ص٢٧ .
(٣٧). زكريا إبراهيم ، سبينوزا ، ص٢٢٧ .
(٣٨). المصدر نفسه ، ص٢٢٨ .
(٣٩). احمد أمين،زكي نجيب محمود:قصة الفلسفة الحديثة،ج١،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،١٩٦٧ م.
(٤٠). المصدر نفسه ، ص١٧٣ .
(٤١). زكريا ، ابراهيم : سبينوزا ، ص٢٤٤–٢٢٥ .
(٤٢). احمد أمين : قصة الفلسفة الحديثة ، ص١٦٩–ص١٧١ .
(٤٣). المصدر نفسه ، ص١٧٥–١٧٦ .
(٤٤). زكريا إبراهيم : سبينوزا ص٢٢١ .
(٤٥). المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(٤٦). هنري توماس : أعلام الفلسفة كيف نفهم ، ص٢٣٢ .
(٤٧). المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(٤٨). رسل ، برتراند:الفلسفة والسياسة، ترجمة عبد الرحمن القيسي ، مكتبة النهضة ، بغداد، ١٩٦٢ م ، ص٣٠٠ .
(٤٩). ديورانت ، ول : قصة الفلسفة ، ص٣٤١ .
(٥٠). عبد المعطي ، د. علي : الفكر السياسي الغربي ، ص٢٤٧٧–ص٢٤٨ .
(٥١). فؤاد كامل : الموسوعة الفلسفية المختصرة ، ص٢٥٣ .
(٥٢). المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(٥٣). زكريا إبراهيم : سبينوزا ، ص١٩٨ .
(54). Stuart Hampshire ,Spinoza and idea of Freedom,university of California press,1972, P331.
(٥٥). زكريا إبراهيم : سبينوزا ، ص٢٠٢ .
(٥٦). عبد المعطي ، د. علي : تيارات فلسفية حديثة ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٤م، ص١٨٦
(٥٧). عبد المعطي د.علي : تيارات فلسفية حديثة ، ص١٨٧–١٨٨ .

Abstract

(1). Spinoza was one of the noble philosophers even if there were the best one in the mind side but he was the highest on the ethical side and as are result for his nature he considered during his life and for a century after his death was evil.

(2). His letter was a revolution upon the political and thoughtful sides and imposing the judje of the mind on the political and religion sides at his time.

(3). He believed in all the kinds of the freedom and he was high brow and he defended the free speech and religions freedom .

(4). He also excited the people towards their religion and the deficiencies in some of the Bible express.

(5). He attacked the religious fanaticism . Today we are witness many kinds of a religious fanaticism therefore we shall not accusing or addressing other with a theism and Godlessness , killing each other in the name of special sect , religion or a group because all the religion or from our God . So Spinoza's ideas refused the religious fanalicim and he suffered from his religion the Judaism then they excluded him because of his thoughts about his religion .

(6). If he witness the establishment of the Judaism country in Palestine he faced with all his power this idea and refused any country establishment depended upon religious .

(7). From the ethical side the nature for Spinoza is empty from good and evil and there no place for them exempt in our minds.

(8). So the first duty of the state is to procted the citizens and their properties . This depends on the existence of the government possessing the power and capability to maintain and keep peace and imposing penalities to limit and control human tendency to unsocial acts and shall give the individuals the freedom of belief , work think and also shall ensure the free speech and defending their opinions by sound reasons not by fraud or violence . So inordert to evolves the political organization it should be depends on free though while the dectaroc system is the enemy for the political and though full freedom and it is over ride all the kinds of freedom especially free though therefore.

(9). Spinoza saw that the people in the nature stat living untidy and disorganized state and there is no law above them. But after their deals between the citizens give some of their rights for the government in society which organized by the law and all the citizens should obey this state or there is no state .

(10). The person is free and he is the master of him self so the freedom and fanaticism this reach us to wisdom and the free person likes for the others what he like him self .

(11). The state which prodect citizens and their properties and reinforce their freedom it is openly a perfect authorities and every body shall obey and respect it . The free organization give the citizens freedom and they don't afraid from controlling of the unbelivables orders so if many people shares in the state that will reduce the unbelievable desire in the judge .

(12). Spenoza refused the humanity freedom and he said it was shadow and it was the ignorance of the real reasons and persons life contacted with his god .